

الأسماء الثلاثة للإله، الرب، والعبادة

(54) ولكن المشرك يرى أن العزة بيد الأصنام والآوثان يقول سبحانه حاكياً عن عقيدته: "وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا" (مريم|81). إنَّ الموحِّد لا يُثبت شيئاً من صفاته سبحانه، و أفعاله، لغيره ولا يرى له مثيلاً و لا نظيراً في الصفات والآفعال فهو المتفرد في جماله و كماله، وفي أسمائه و صفاته، وفي أعماله و أفعاله، و لكن المشرك يسوي الأصنام بربِّ العالمين إذ يقول سبحانه حاكياً عنهم: "تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" (الشعراء|97-98) و إذا لم تكن التسوية متحققة في تمام الشؤون فقد كانت متحققة في بعضها فقد كانوا عندهم مالكين للشفاعة النافذة التي لا ترد، و لغفران الذنوب، فلاجل ذلك تُركِّز الآيات على أن الشفاعة لله و المغفرة بيده، يقول سبحانه: "قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً" (الزمر|44) و يقول: "وَمَنْ يَغْفِرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ" (آل عمران|135) إنَّ النبيَّ إبراهيم يصف ربه بقوله: "الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِي* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي* وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ" (الشعراء|78-82) و هو في هذا المقام يحاول ردَّ عقيدة المشركين حيث كانوا يثبتون بعض هذه الآفعال لما يعبدون من الأجرام السماوية والأرضية، وحصيلة الكلام أن التاريخ القطعي وآيات الذكر الحكيم متفقان على أن خضوع المشركين لم يكن مجرد عمل دون أن يكون نابعاً من الاعتقاد الخاص في حقِّ معبوداتهم و لم تكن عقيدتهم سوى إثبات ما لربِّ العالمين من الشؤون، كلاها أو بعضها لهم، و لاجل ذلك كانوا يتذللون أمامهم. هذه هي الطريقة الأولى لاستكشاف مدخلية العنصر الأول في صدق العبادة و قد وقفنا عليها من طريق الامعان في عبادة الموحدين و المشركين و إليك الكلام في الطريقة الثانية.